

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

كيف نحفظ؟

هناك أسباب كثيرة تقدّم لك في الأسباب السابقة أنها
مشتركة في كلّ أمر: في الحفظ، والفهم، والقراءة، والتبليغ،
وغيرها..

وأذكر هنا بعض الأسباب المساعدة والمساندة، وهي
خلاصة عن قراءة و تجربة، وإلا فقد يكون المتكلم أحوج
لذلك من السامعين، من ذلك:

- ١- اختيار الوقت المناسب
- ٢- اختيار المكان المناسب
- ٣- اختيار القدر المناسب من المتن المراد حفظه أو الشرح المراد
قراءته
- ٤- اختيار الهيئة المناسبة
- ٥- تجزئة المحفوظ
- ٦- وُحد النسخة التي تحفظ منها
- ٧- شكّل المتن الذي تحفظه تشكيلاً لغوياً
- ٨- ضع ضابطاً أو مصطلحاً حرفياً لما قد يُشكل أو يصعب حفظه
- ٩- تعويد النفس على الحفظ وعدم الانقطاع عنه
- ١٠- تعاهد الحفظ وتكراره مع نفسك أو مع غيرك
- ١١- العمل بالمحفوظ
- ١٢- ذكر بعض أهل العلم بعض المآكل والمشارب المعينة على الحفظ
- ١٣- ما يتعلق بقراءة نماذج من سير الحفاظ

ملاحظة سنقوم بنشر شرح كل هذه الاسباب ان شاء الله

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

كيف تحفظ؟

١- اختيار الوقت المناسب

أحياناً يكون الذهن مشغولاً بمشاغل حسية ومعنوية ويريد الإنسان أن يحفظ ولا يستطيع، فيصاب بنوع من الإحباط، والسبب في ذلك عدم اختيار الوقت المناسب، ولهذا فمن أسباب تيسير الحفظ - بعد توفيق الله تعالى دائماً - أن تختار وقتاً مناسباً وأنت خليٌّ من الصوارف الحسية والمعنوية، ولهذا لاحظ كيف أنّ الخشوع في الصلاة يتنافى مع أن يصلي المرء وهو جائع أو عطشان أو يريد النوم.

وهذا يقول ابن القيم رحمته الله - عندما تكلم عن قول النبي

ﷺ: «لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان» قال:

«أما الإغلاق فقد نصّ عليه صاحب الشرع، والواجب حمل كلامه فيه على عموم اللفظي والمعنوي، فكلّ من أغلق عليه باب قصده وعلمه - كالمجنون والسّكران والمكره والغضبان - فقد تكلم في الإغلاق، ومن فسره بالجنون أو بالسّكر أو بالغضب أو بالإكراه فإنما قصد التمثيل لا التخصيص، ولو قدر أنّ اللفظ يختصّ بنوع من هذه الأنواع لوجب تعميم الحكم بعموم العلة، فإنّ الحكم إذا ثبت لعلة تعدّى بتعدّيها وانتفى بانتفائها»^(١).

ولهذا من أراد أن يحفظ فعليه أن يختار الوقت المناسب فيكون مهياً نفسياً وذهنياً وليس بمشغول ولا غضبان ولا مهموم...

وهذا الشيء مجرب؛ ولذا تجد أنّ بعض الناس يحفظ كثيراً مع قلة أوقاته، وبعض الناس لا يحفظ إلا القليل مع كثرة أوقاته، فإذا قارنت وفارقت وجدت أنّ السبب - بعد توفيق الله - هو اختيار الوقت المناسب، وأنّ ذلك من أنفع الأسباب لتيسير أمر الحفظ.

(١) «إعلام الموقعين» (٣/١٠٧).

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

٢- اختيار المكان المناسب

يختلف طلاب العلم في ذلك فبعضهم يقول: أنا أتهيأ في المسجد للحفظ أكثر من البيت، وبعضهم يقول: أتهيأ في بيتي للحفظ أكثر من المسجد، والضابط في ذلك: أن تختار وقتاً ومكاناً يلائمان، سواء كان في مسجدك أو بيتك أو في مكتبة عامة أو في مزرعة... الشاهد: أن هذا الأمر يعود إلى كل طالب علم بحسب ما يجد الأنفع في نفسه.

كَيْفَ نَحْفَظُ؟ كَيْفَ نَقْرَأُ؟ كَيْفَ نَفْهَمُ؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

٣ - اختيار القدر المناسب من المتن المراد حفظه أو الشرح المراد
قراءته

بعض طلاب العلم يتدئ في حفظ متن مطوّل فيضعف
عنه، فيصاب بنوع من الفتور والخمول، وقد يصل به ذلك إلى
اليأس وترك العلم، ولا شك أنّ هذا من المغالطة، فالعلم كما
قال سلفنا: «لا يؤتيك بعضه حتى تؤتیه كُلك»، والعلم كما قال
الزهري: «أودية، فمن تخبط فيها هلك، ولكن إذا أخذها شُعبًا
شعبًا علم وعمل وتعلم».

فالشاهد: اختر قدرًا مناسبًا ولو كان يسيرًا، ولهذا بعض
طلاب العلم يأتي وله همّة عالية فيبدأ في متن طويل أو شرح
طويل، فإذا حفظ كثرت أغلاطه سواء في إسقاط جملة أو تبديل
جملة، أو في خطأ لغوي أو نحوي، وكذا لو قرأ ذلك الشرح
المطوّل فلم يفهم كثيرًا ممّا قرأ قد يصاب بنوع من الإحباط،
لكن لو أخذ متنًا قصيرًا أو شرحًا قصيرًا وجزّاه - كما سيأتي
بيانه - لوجد أنّ ذلك التحصيل اليسير يدفعه إلى الاستمرارية
حتى يكون الحفظ والفهم أمرًا مألوفًا.

كيف تحفظ؟ كيف تقرأ؟ كيف تفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم كيف تحفظ؟

٤- اختيار الهيئة المناسبة

بعض الناس الآن قد يكون يمشي في السيارة مثلاً ثم يريد أن يحفظ، قد يحفظ نوعاً ما.. لكن لو تأخر حفظه فقد يصاب بنوع من الضعف، لكن الذي ينبغي هو أن يختار وقتاً مناسباً ومكاناً مناسباً وقدرًا مناسباً وهيئة مناسبة.

يقول بعضهم: الحفظ في حال المشي والتردد أفضل من المجالسة، وأعرف طلاب علم يقولون: لا يمكن أن نحفظ إلا أن نمشي ذهاباً وإياباً.

وبعضهم يقول: لو أمشي يرتج عليّ الحفظ.

وبعض الناس يقول: لا أستطيع أن أضبط حفظ القرآن إلا وأنا أقوم في وسط الليل وأبدأ في الحفظ، أمّا في النهار فلا يتيسر لي.

فأنت يا طالب العلم لا تقلد زيدا ولا عمرا، فقد يكون زيد يناسبه الحفظ وهو جالس، أو وهو يمشي، وقد تحاول أن تحاكيه لكن لا يتيسر لك هذا.

وبكل حال؛ فانظر إلى ما ينفعك، والضابط في ذلك: أنت.

* فيك الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ *

فإذا عرفت من نفسك أن ذلك أنفع لنفسك فافعله.

يقول بعض أئمة الشافعية: «القراءة العالية للحفظ، والقراءة الخفية للفهم».

وهذا مجرب؛ فإنّ الإنسان إذا أراد أن يحفظ ثمّ قرأ بصوت عال وردّد قد يكون أنفع له، لكن إن كنت ترى من نفسك أنّ هذا لا ينفعك أو يؤخر حفظك فاسلك ما تراه أنسب لك، كما سبق تقرير ذلك.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

٥ - تجزئة المحفوظ

وهذا يعود لما سبق الكلام عنه، جَزَّئِ المتن إذا كان طويلاً، بل حتى لو كان المتن قصيراً جَزَّئْهُ حتى يكون الحفظ أثبت وأرسخ، فمثلاً إذا أردت أن تحفظ متناً في الفقه ثم رأيت أن المؤلف قد جعل للطهارة أربعة أسطر، وجعل للصلاة عشرة أسطر، فابدأ بتجزئة هذا المحفوظ فأربعة أسطر في الطهارة قد تسهل عليك، لكن المؤلف قد جعل للصلاة عشرة أسطر وحفظها كاملة قد يشق عليك، إذن فعليك أن تجزئها، ولا تقل: سأحفظ فصلاً كاملاً! فقد يكون هذا الفصل الطويل لا يتيسر لك حفظه كما تيسر الذي قبله، المهم أنك كلما جزأت الحفظ كان ذلك أرسخ، ولا تقل: سأتأخر في الحفظ، فالتأخر مع رسوخ الحفظ أفضل من التعجل مع عدم رسوخ الحفظ، ومن ثم تفلت الحفظ.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

٦ - وحد النسخة التي تحفظ منها

لأنَّ الرَّسْم ينطبق في الذهن؛ فرسم الأحرف، وبدء
الصفحة، ونهاية الصفحة.. مع تكرر القراءة في النسخة نتيجة
رسوخ ذلك في ذهنك حتى تصير كأنك تنظر فيها عند قراءة تك
لها، لكن إذا اختلفت النُّسخ وبخاصة إذا اختلف ترتيب
الأسطر والكلمات فإنَّ هذا قد يؤخِّر حفظك، وهذا الأمر
مجرَّب في المصاحف، فمثلاً: المصاحف الموجهة - التي تنتهي
فيها كلُّ صفحة بآية - إذا حفظ الإنسان عليها يختلف ذلك فيما
لو أدخل مصحفاً آخر - في أثناء حفظه - غير موجه، وهذا
مجرَّب، فكلما كانت النسخة واحدة كلما كان الحفظ أرسخ
وأثبت.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

٧ - شكّل المتن الذي تحفظه تشكيلاً لغوياً

يقول الحافظ ابن الصلاح رحمه الله تعالى:

«إعجام المكتوب يمنع من استعجابه، وشكله يمنع من
إشكاله»^(١).

يعني: قبل أن تحفظ حاول أن تقرأ المتن مشكولاً، فإذا
كان المتن مشكولاً فيها ونعمت، لكن إذا كان المتن غير
مشكول فاحرص أن تقرأه على شخص متمكّن في اللغة حتى
يضبط لك حفظك بسلامة لفظ.

ومن المعلوم أنّ من عود نفسه حفظ المتون مشكولةً
وقراها مشكولةً فإنّ الملكة عنده ترسخ والسليقة تستقيم،
ومن المعلوم أنّ من عود نفسه حفظ المتون مشكولةً
وقراها مشكولةً فإنّ الملكة عنده ترسخ والسليقة تستقيم،
بخلاف ما لو حفظ متناً مهملاً قد يرفع المنسوب وينصب
المرفوع.. وهكذا سيبقى كثير اللحن في قراءته.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فاحرص يا طالب العلم على شكل
المتن، وكذلك في التلاوة إذا أراد الإنسان أن يحفظ سورة
ولم يسمعها من مقرئ أو يقرأها على مقرئ يجيد القراءة، فقد
يحفظ غلطاً، لكن إذا حفظها مضبوطة الشكل فلا شك أنّ هذا
يُعين على استقامة سليقة لسانه وعلى ملكة اللغة كذلك.

(١) «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث» (ص ٨٩)، منشورات دار الحكمة.

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

٨ - ضع ضابطاً أو مصطلحاً حرفياً لما قد يُشكل أو يصعب حفظه

قد يكون في المتن كلمات أو جمل تخطئ كثيراً في ترتيبها حين الحفظ، أو يصعب عليك ضبطها في أول حفظك، وتجد من نفسك غلطاً مستمراً عند قراءتها، وهذا أمر معروف، ولعلاج ذلك اجعل في ذهنك ضابطاً خاصاً.

وأذكر لك مثلاً الكل يحفظه: لو قلت لأحد إخوانك اذكر الحروف الأبجدية التي نتكلم بها، فإذا لم يكن في ذهنه ترتيب في جمل معينة - سواء شعرية أو نثرية - في الغالب فقد يكرّر حرفاً أو ينقص حرفاً، لكن إن كان يحفظ قولهم: «أبجد هوز... الخ» انضبط الحفظ.

ومثال آخر: لو سُئل سائل: كم حروف الإدغام بغنة؟ فلو ذكرت الحروف دون ضابط جامع فقد تزيد أو تنقص أو تكرر، لكن لو قلت: هي أربعة حروف مجموعة في كلمة «يرملون» لانتهى الأمر.

ومثال آخر: في مسائل العرصات يوم القيامة، هناك حوض، وهناك صراط، وهناك ميزان، فكان ترتيب تلك الأمور حسب الورود عليها يُشكل عليّ أحياناً، فتبيّن لي بعد البحث والسؤال أنّ الراجح في الترتيب أنّ الحوض أول، ثمّ الميزان، ثمّ الصراط، لكن يبقى الإشكال أنّي إذا أردت ذكر القول الصحيح بعد حين من الدهر يلتبس عليّ الأمر، فوضعتها ذهنياً في كلمة «حمص»، ح: للحوض، م: للميزان، ص: للصراط، ولم أنسها بعدها بفضل الله تعالى.

وأنا أجزم أنكم ستموتون ولن تنسوا هذه الفائدة؛ لأنها قد رسخت في أذهانكم بعد عمر طويل على خير إن شاء الله.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

٩- تعويد النفس على الحفظ وعدم الانقطاع عنه

فالنفس كلما عودتها على أمر اعتادت عليه. يقول الشاعر:
والنفس كالطفل إن تهملهُ شبَّ على

حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْفِطِمِ

وخيرٌ من قول الشاعر قول النبي ﷺ: «إنما العلم

بالتعلم..» وقد تقدم الحديث، فكلما عودت نفسك على أمر
فإنها تألفه وتعتاده.

كان بعض العلماء يقول: «كنت أحفظ باليوم ولو سطرًا
واحدًا حتى لا أنقطع عن الحفظ».

وذلك لأن النفس فيها طاقات إذا أهملتها أصبحت بئراً
معطلة.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: «لكل امرئ قريحة من
الشعر، إن استعملها فارت وإن تركها غارت».

وكذلك الحفظ والفهم والقراءة؛ كلما عودت النفس
عليها اعتادت ذلك الأمر وسهل عليها.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

١٠- تعاهد الحفظ وتكراره مع نفسك أو مع غيرك

أحياناً إذا حفظ الإنسان شيئاً من العلم قد لا يستطيع أن يثبته بنفسه، لكن إذا استعان - بعد الله - بأخ له كان ذلك أنفع له، وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يخرج مع مجاهد ويقول: «يا مجاهد، اقرأ عليّ وأقرأ عليك». وذلك من باب ترسيخ الحفظ في ذهنها.

فإذا علمت من إخوانك من يُعينك على الحفظ وتتفق وتنسجم معه في صفات مشتركة، فاستعن به بعد الله وَعَلَىٰ.. اقرأ عليه ويقراً عليك، تكرر عليه ويكرر عليك، وسترى من نتيجة ذلك ما يسرك.

أعرف بعض طلبة العلم - وهذا مجرب - يقول: إذا أردت حفظ شيء فمت بتسجيله بصوتي على شريط ثم أعيد سماعه عشرات المرّات، فيزداد رسوخاً في ذهني حتى لا أكاد أنساه مع تقادم الأيام.

وبكلّ حال؛ الضابط كما قلت: أي طريقة تجد في نفسك أريحية وقبولاً لها فالزمها ولا تتعدّها إلا إلى أحسن منها.

كيف تحفظ؟ كيف تقرأ؟ كيف تفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

١٠- تعاهد الحفظ وتكراره مع نفسك أو مع غيرك

١١- العمل بالمحفوظ

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: «حدثنا الذين كانوا يُقرِّئوننا القرآن - كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشرَ آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»^(١).

ألا ترون أنّ بعضنا يحفظ دعاء دخول الخلاء والخروج منه، ودعاء دخول المسجد والخروج منه، لكن لو سألته عن دعاء لبس الثوب أو دعاء دخول المنزل ودعاء الخروج من المنزل فإنه في الغالب لا يحفظها، وإن حفظها حفظها متداخلة يُسقط بعض الجمل ويكرّر بعضها، والسبب هو: عدم العمل بها، لكنّ هذا لو عوّد نفسه العمل بها لزادت رسوخاً في ذهنه. وأوصي نفسي وإياك بقراءة كتاب الخطيب البغدادي «اقتضاء العلم العمل»، فقد جمع فيه آثاراً ذهبيةً وبين حرص السلف - عليهم رحمة الله - على تركية علمهم بعملهم.

(١) «مقدمة التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/٢).

كَيْفَ نَحْفَظُ؟ كَيْفَ نَقْرَأُ؟ كَيْفَ نَفْهَمُ؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

١٢ - ذكر بعض أهل العلم بعض المآكل والمشارب المعينة على الحفظ^(١)

فقال بعضهم: إن هذا مجرب، وعلى كل حال كلما تحرى
الإنسان السنّة في أكله - فجعل ثلثاً لطعامه وثلثاً لشرابه وثلثاً
لنفسه^(٢) - ولزم من المآكل ما يراه أنفع لعقله وبدنه.. كان في
ذلك جمعاً بين أمور: منها التعبّد والتقرب لله تعالى بهذا الأمر،
والاستئنان بسنة النبي ﷺ، وكان ذلك أنفع لعقله وبدنه؛ لأنّ
الشرع لا يأتي إلا بكل خير للعقل والبدن.

(١) كما كان الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يأخذ اللبان للحفظ. «السير» (١٥/١٠). ومن
المطعومات التي تساعد على الحفظ وتنشط الذاكرة: العسل، وشرب ماء
زمزم، والحبة السوداء، والتمر.

(٢) كما ثبت ذلك في حديث أخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الزهد، باب: ما
جاء في كراهية كثرة الأكل (٢٣٨٠).

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تحفظ؟

١٢ - ما يتعلق بقراءة نماذج من سير الحفاظ

كُتِبَ التراجم مطوّلة، لكن هناك كتبٌ معاصرة جمع فيها مؤلفوها نماذج من قوة الحفظ عند بعض أهل العلم، أو عند بعض الحفاظ، وحقيقة إنَّ الإنسان إذا قرأها يقف متعجبًا من تلك الحافظة الراسخة العظيمة الواسعة، ثمَّ إذا تأمَّل قال: إنهم فعلوا أسبابًا بعد توفيق الله تعالى، ولو أنَّ الإنسان دعا ربَّه وفعل الأسباب فربما يؤتبه الله كما آتاهم، وما ذلك على الله بعزيز.

وهناك كُتِبَ وقع في يدي أخيرًا للشيخ عبدالقيوم السحبياني - من طلاب العلم - جمع فيه نماذج لطيفة تؤثر في قارئها عن قوة الحفظ، وعن العَجَب في سرعة الحفظ، فلو أنه قرأ وقرأه الجميع لاستفادوا وأفادوا، وهم أهل العلم عظيمة، وعزائمهم عجيبة.

ومن باب الترويح أذكر لكم لطيفة عن قوة الهمة في ضبط الحفظ وعن عظيم العزيمة:

يقول ابن أبي عاصم: «لما كان من أمر العلويّ بالبصرة ما كان.. ذهبتُ كتبي فلم يبق منها شيء، فأعدت عن ظهر قلب خمسين ألف حديث، كنت أمرُّ إلى دكان البقال، فكنتُ أكتب بضوء سراج، ثمَّ تفكرت أني لم أستاذن صاحب السراج، فذهبت إلى البحر فغسلته، ثم أعدته ثانيًا»^(١).

فهذه الحافظة القوية لم تأت عن فراغ، لكن بالعزيمة وعظيم الهمة بعد فضل الله تعالى.

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٧٧).

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

كيف تقرأ؟

القراءة نعمة.. وحبُّها نعمة.. لكنها قد تكون نقمة عند
بعض الناس، فبعض الناس يقرأ عشرات الكتب بل مئات،
لكنه لا يفرِّق بين الغث والسَّمين، وبعض الناس يقرأ الغث
دون السمين.

والقراءة أنواع: قراءة دراسية، وقراءة ترويحية، وقراءة
استطلاعية.

والنوع الأول هو المقصود، وذلك بأن يقرأ الإنسان
بتمعن وتأمل وتفهم، أمَّا القراءة الترويحية فهي من باب
الاستمتاع، كما قال سلفنا: ينبغي لطالب العلم أن يكون عنده
نوعٌ من الترويح، فيقرأ في بعض كتب الأدب والشعر من باب
الترويح، والقراءة الاستطلاعية هي القراءة بسرعة لتعرف ما
في الكتاب ومضمونه ومؤلفه بصفة إجمالية.

والأمور المتقدِّم ذكرها - والتي ينبغي مُراعَاتها في الحفظ -

هي نفسها في القراءة، وأعيد بعضها من باب العناية بها:

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

١ - اختيار الوقت:

فكما خصّصت وقتاً للحفظ فاحرص على أن يكون
 للقراءة وقت محدّد، ولا تزاخمه بشيء آخر، ومن تعذّر
 بالأشغال فإنّ هناك من هو أكثر منك أشغالاً وأكثر منك
 قراءة، والسبب في هذا - بعد توفيق الله - هو ترتيب الوقت.

فأوصيك يا طالب العلم أن يكون وقت العلم عندك هو
الأصل، وما سواه عرض، فإنك إذا رتبت وقتاً لك لحضور
 درس أو لقراءة كتاب أو لحفظ متن.. جعلت له وقتاً معيناً
 فقال لك قائل: يا فلان نذهب إلى كذا.. فلا يكون ترك الدرس
 على حساب الذهاب، بل يكون ترك الذهاب على حساب
 الدرس إلا ما لا بدّ منه، فأنت أدري بنفسك.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

٢ - اختيار المكان

فتهيئة مكان للقراءة لا يُشغل فيه الذهن بغير القراءة
والفهم مهمٌ للغاية؛ لأنه كلما كان الإنسان مهياً في وقته
ونفسيته كان أكثر استيعاباً لما يقرأ؛ لأن بعض الناس يقرأ
ويتجاوز صفحتين أو ثلاث صفحات ويرى أنه ما استفاد من
قراءته شيئاً، بسبب ما يشوش عليه أو لضعف فهمه في البدء.
فأنصحك يا طالب العلم بعد أن تُهيئ لنفسك مكاناً
مناسباً، ثم تبدأ في القراءة صفحة أو صفحتين أو ثلاثاً،
ولم تستوعب.. فتوقف عن القراءة ثم حاول أن تسترجع
معلومات الصفحات السابقة وتقول لنفسك: استفدت كذا
وكذا.. ثم ترحل.. وهكذا هذا يكون كالإبرة تحيط الشقوق
فتجمع ما تفرق من الذهن.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

٣ - الاستشارة في قراءة الكتاب

قد تقرأ كتاباً في فن معيّن ويوجد كتاب أخصر منه وأسهل من حيث الأسلوب وأجمع من حيث الفائدة، لكن لعدم استشارتك من هو أعلم منك تُنفق وقتاً كثيراً ولا تحصل إلا قليلاً.

مثلاً: أردت أن تقرأ شرحاً لـ «الأربعين النووية» أو لـ «بلوغ المرام» أو «منهاج السالكين».. فإذا لم يكن عندك معرفة عن طبيعة مناهج الشُّراح فلا بدّ أن تسأل مشايخك الكبار ثمّ طلبه العلم الكبار حتى يرشدوك إلى شرح يكون منطلقاً لك.. إلى أن تتزود وتقرأ أكثر وأكثر.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

٤- اختيار أجود الطبقات

قبل أن تقرأ كتابًا استشر مشايخك ثم طلبة العلم في اختيار الطبعة المناسبة، فقد يكون للكتاب طبقات كثيرة لكنها مختلفة، فبعضها مليء بالأغلاط والتداخلات، لكن طالب العلم إذا استشار وسأل فإنه يستفيد كثيرًا ويختصر ما قد يضيع من وقته عند عدم استشارته.

وهناك كتب وبحوث تبين أمثلة كثيرة من الأخطاء الفاحشة في بعض الطبقات، وتجد مع ذلك أن بعض طلبة العلم يقرأ في هذه الطبقات دون استشارة فينقل معلومات خاطئة!

ومن لطيف القول في هذا المقام أني كنت أقرأ في كتاب «ميزان الاعتدال» للإمام الذهبي، وفي أثناء قراءتي في ترجمة الإمام الدولابي رَحِمَهُ اللهُ جاءت عبارة في هذا نصها: «تكلموا فيه لما تبين من أمره الأخير»، وهذه العبارة هي جواب من الإمام الدارقطني لسؤال السهمي عن الدولابي، ومعنى ذلك: أن أمرًا حصل أخيرًا للدولابي، فأخذت أبحث عن هذا الأمر الأخير هل هو في الاختلاط؟ أو الاعتقاد؟ فرجعت إلى كتاب «سؤالات السهمي» للدارقطني فإذا العبارة: «تكلموا فيه، ما تبين من أمره إلا خير».

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

٥- عليك بالبدء بالكتب القصيرة

بعض الشباب الصغار يكونون متحمسين في أول أمرهم، وهذا أمر محمود، لكنهم يبدوون بمطالعة الكتب والقراءة دون استشارة للعلماء أو طلبة العلم، ومع تقادم الأيام يبدأ الملل والضعف يتتأبهم، حتى يُصابوا بنوع من الفتور، وما يزال ذلك بهم حتى يرغبوا عن سبيل الطلب!

ولذا على طالب العلم أن يعرف أن طريق العلم طويل، من أراد عجلًا تركه عجلًا.

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

٦ - العناية بما كُتب حول الكتاب الذي تريد قراءته

مثلاً لو أردت أن تقرأ شرح ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عَلَى كِتَابِ
النُّووي «الأربعين النووية»، أو تريد أن تقرأ شرح الصنعاني
رَحِمَهُ اللهُ «سُبُل السَّلَام» عَلَى كِتَابِ «بلوغ المرام».. فاحرص على
أن تقرأ عن كتاب «سبل السلام» وعن منهج المؤلف
ومصطلحاته وطريقته، وكذا ترجمة المؤلف... هذه الأمور
وأمثالها تعطيك إحاطةً ومحبةً وفهماً لمنهج المؤلف، وتبني لك
الدرب أثناء القراءة، بخلاف ما لو قرأته وأنت لا تعرف عنه
شيئاً، فقد تأتيك مصطلحات في الكتاب فتخطئ في تفسيرها
أو تقيسها على غيرها فيكون القياس غير مطابق.

فمثلاً رمز «ق» في «تقريب التهذيب» لابن حجر يختلف
عن رمز «ق» في «الجامع الصغير» للسيوطي؛ ففي «تقريب
التهذيب» يُشير إلى ابن ماجه القزويني، بينما في «الجامع
الصغير» يشير إلى قولهم: «متفق عليه».

وكلمة «متفق عليه» في «منتقى الأخبار» لمجد الدين ابن
تيمية تعني: الإمام أحمد والبخاري ومسلماً، بينما عند غيره
تعني: البخاري ومسلماً فقط.

وهذا مثال على تباين معاني الرموز، فكيف بتباين مناهج
الشراح ومصطلحاتهم في أحكامهم؟

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

٧ - اختيار أخصر الشروح

فإذا كان المقروء مشروحًا، وكان له عدة شروح فعليك
باختيار أخصرها، وعليك بمشاورة علمائك أو كبار طلبة العلم.
وأوصي نفسي وطالب العلم أن يبدأ بالمختصرات، سواء
في المتون أو في الشروح، وسيرى أنه يزداد تحصيلًا وإحاطةً
بالمتن والشرح المختصر.

فمثلًا: إذا كنت تريد أن تقرأ «كتاب التوحيد» فهناك شروح
وحواش كثيرة، كـ«فتح المجيد» و«تيسير العزيز الحميد»، وكذا
شروح الشيخ ابن عثيمين والفوزان، وكذا حواش أخصر مما
قبلها.. فلو بدأت مثلًا بحاشية الشيخ ابن القاسم ثم انطلقت
وتوسعت في الشروح: الأصغر ثم الأكبر، لكان ذلك أجمع
للفائدة في ذهنك.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

٨ - تقسيم القراءة

إذا كان الكتاب المقروء في مبحث معين فحاول أن تقسم ذلك على الأسطر، أو على المواضيع...

فمثلاً: لو كان موضوع الكتاب عن الصلاة، فاجعل قسمًا من تكبيرة الإحرام إلى السجود مبحثًا مستقلًا، ثم من السجود إلى التشهد الأخير مبحثًا مستقلًا.. وهلمَّ جرًّا.

أو قسّم الكتاب بحسب عدد الأسطر، أو بحسب تكامل الوحدة الموضوعية، أو بحسب الصفحات.. والمهم أنك لا تقرأ جزأفًا؛ لأنك ستفقد كثيرًا من قراءتك، لكن مع التقسيم والترتيب يسهل التحصيل.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

٩- توثيق تاريخ البدء والختم

تكتب في بداية الكتاب: بدأت بقراءة الكتاب في يوم كذا،
وإذا أنهيت قراءته كتبت في آخره: أنهيت القراءة في يوم كذا،
فهذا أولاً صنيع بعض أهل العلم، ثم هذا أدعى للهمة وأقوى
للعزيمة.

فإذا مرّت حقبة زمنية على البدء ثم رأيت تاريخ البدء
وتاريخ الختم زادك ذلك همّة ونشاطاً، وأيضاً لو كان الوقت
بين البدء والختم أكثر ممّا يحتاجه الكتاب وعلمت أنّ ذلك طال
بسبب عدم ترتيب وقتك، فإنّ ذلك يعينك على شدة المحافظة
على الوقت وعدم التفريط فيه.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

١٠- احذر من التعجل في القراءة بقصد الختم

قد تقرأ كتاباً ويبقى منه ورقة أو ورقتان، فلا تعجل حذرًا
من بقائها إلى الغد، وبخاصة إذا كان موضوع البحث فيها
يحتاج إلى تأمل، فعليك بالترقق حتى تقرأ وتتمعن لتفهم
وتستفيد، فلا تحرم نفسك بسبب التعجل، فربما يكون في
الورقتين فوائد كثيرة قد تعدل ما سواها.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم
كيف تقرأ؟

١١- إياك والتشعب في أثناء القراءة

في أثناء القراءة قد ترد كلمة غير مفهومة، وهذه الكلمة على قسمين: إن كان فهم الجملة يتوقف على فهمها فابحث عن معناها، وأمّا إذا كانت الكلمة التي مرّت عليك لا تؤثر في الفهم فتجاوزها ووضّع تحتها خطاً لترجع إليها بعدما تفرغ من القراءة.

والمراد بالتشعب هنا: أن بعض طلبة العلم إذا أراد الرجوع إلى تلك الكلمة - التي يقف فهم الجملة على معناها - فإنه أثناء رجوعه إلى كتب اللغة قد يمرّ في أثناء بحثه بفوائد كثيرة، فيقوم بالاشتغال بقراءة تلك الفوائد والتنقل من ورقة إلى ورقة حتى ينصرف عن البحث الذي هو الأصل في قراءته، ولعل التصرف الأفضل في مثل هذا أن يبحث عن معنى الكلمة التي يريد، فإذا وجد مراده وأكمل قراءته الأصلية رجع بعد ذلك إلى تلك الفوائد التي صادفها في أثناء بحثه عن مراده، ويكون ذلك بتقيد أرقام تلك الفوائد عند مروره عليها، ثمّ بعد فراغه من بحثه الأصلي يعود إلى أرقام تلك الصفحات فيقرأ تلك الفوائد بتمعن.

وهذا مثال واحد يقاس عليه غيره مما شابهه، فلو أراد الرجوع مثلاً إلى التأكد من صحّة حديث مرّ عليه في أثناء قراءته فعليه - عند الرجوع إلى مصادر البحث عن الحديث - ألاّ يشتغل بما يمرّ عليه من المسائل العلمية المتنوّعة.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الأول: الدعاء

أن يدعو الله دائماً، فالدعاء - بفضل الله تعالى - يفتح ما
كان مستغلقاً، ويقرب ما كان بعيداً، ويجمع ما كان مفترقاً،
ويسهل ما كان عسيراً...

والكلام عن الدعاء وشأنه أمرٌ عُنِيَ به أهل العلم، أفردوا
فيه مصنفات مستقلة، والشاهد من المقال أن طالب العلم من
أحوج الناس إلى الدعاء، وكلما كان العبد أكثرَ ضراعة وابتهالاً
مع فعل الأسباب فسيرى من ثمرة دعائه وتوفيق الله له ما
لا يخطر على باله.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الثاني: الإخلاص في المقصد

لا تنتظر مدح المادحين، ولا ثناء المشين، ولا إعجاب المعجبين.. فهذه من أوّل المهالك والمعاصي في طريق كل عبادة، وبالأخص طلب العلم؛ لأنها عبادة متعدّية إلى من يسمعها ويقرؤها ومن تبلغه، وليكن هدفك وقصدك مرضاة الله تعالى. وهنا أمرٌ للشيطان فيه نصيب، وهو أنّ بعض طلبة العلم إذا عالج نيّته مرارًا قد يغلبه الشيطان فيصده عن طلب العلم والسعي في تحصيله، وقد بيّن أهل العلم أنّ هذا من أعظم تلبيس الشيطان على طالب العلم، فعليه أن يُخلص النية لله ويجتهد في ذلك، ومهما لبس عليه الشيطان لا بد أن يستمر في جهاده، فذلك نوع من التعبد والمجاهدة في سبيل الله.

كَيْفَ نَحْفَظُ؟ كَيْفَ نَقْرَأُ؟ كَيْفَ نَفْهَمُ؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الثالث: اجتناب المعاصي

المعصية مَعْطِبٌ، وهي عائقٌ يقف سداً في تحصيل كلِّ خير، وطالب العلم ينبغي أن يكون أحرص الناس على ترك المعاصي وعدم قربها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها»^(١).

وقال علي بن خشرم رحمه الله تعالى: «رأيت وكيع بن الجراح ولم يكن بيده كتاب، وكان يحفظ ما لا نحفظ، فعجبت من ذلك فسألته وقلت: يا وكيع، لا تحمل كتاباً ولا تكتب سواً في بياض وتحفظ أكثر مما نحفظ؟! فقال وكيع - وقد أسرَّ في أذن علي -: يا علي، إن دلتك على دواء النسيان أتعمل به؟ قلت: أي والله، قال: ترك المعاصي، فوالله ما رأيت أنفع للحفظ من ترك المعاصي»^(٢).

لذا جاء فيما ذُكر عن الشافعي أنه قال في شعر له^(٣):

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نورٌ ونورُ الله لا يُؤتى لعاصي

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٣١٤) طبعة مكتبة الفلاح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٨٤) طبعة دار الصفا.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الرابع: قراءة سير العلماء

وهذا الأمر من أنفع الأمور؛ فاقراً كتب التراجم لحفاظ
العلم وعلماء الحديث وغيرهم ترى فيها عجباً، ولولا الأسانيد
وتواتر الأخبار لكُذِّبت بعض الوقائع؛ لأنَّ الإنسان يقف
مبهوراً متعجباً من قوة عزمهم وعظيم فهمهم وتآليفهم.
وكتب التراجم كثيرة، ومن أنفعها: «تذكرة الحفاظ»
و«سير أعلام النبلاء» كلاهما للإمام الذهبي، ناهيك عن كتب
طبقات تراجم المذاهب.

وبكل حال؛ ينبغي أن يجعل طالبُ العلم لنفسه نصيباً من
قراءة بعض كتب التراجم، حتى تقوى همته وتشتدَّ عزمته.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الخامس: قراءة بعض كتب أدب الطلب

تلك الكتب التي صُنِّفت لطلبة العلم، حتى يعرف طالب العلم والمبتدئ في الطلب كيف يتأدَّب بآداب طلب العلم في حضوره لمجلس العلم؟ وفي حضوره عند مشايخ العلم؟ ومع أقرانه؟ وكيف يُعلِّم من يجهل؟ وكيف يتعامل مع أهل بيته؟ وهكذا.. فكتب الطلب تفتح للإنسان أبواباً كثيرة من الخير. ومنها على سبيل المثال: «الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، وكذا «تذكرة السَّامع والمتكلِّم» لابن جماعة الكِنَّاني، وكتب أخرى كثيرة في هذا المبحث.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر السادس : مجالسة المتميز في حفظه وفي فهمه وفي قراءته

ويجمع هذا: مجالسة من ترى حرصه على طلب العلم؛
ذلك لأن أصحابك ليسوا سواء، فهم يختلفون في عنايتهم
بالعلم حفظاً وفهماً وقراءةً ومحافظةً على أوقاتهم، وتميزاً في
تعبدهم، وتميزاً في سلوكهم.. فاحرص على أن تُلازم من تشعر
أنك تستفيد منه علماً وخلقاً وزيادةً في همّتك.

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر السابع: مجاهدة النفس وعدم اليأس

يستسلم بعض المبتدئين في الطلب في أول مراحلهم! يعجز عن حفظ متن فيستسلم ويأس، أو يعجز عن إكمال قراءة كتاب فيضعف، أو يعجز عن فهم درس كان يحضره فيعزب عنه ويغفل عنه!

ولا شك أن هذا مما لا ينبغي أن يكون في طالب علم؛ فعليك أن تجاهد نفسك.. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإذا عَلِمَ اللهُ أَنَّكَ تَجَاهِدُ نَفْسَكَ لِلصَّبْرِ والمَصَابِرَةِ فابشُر من اللهُ بما يَشْرُكَ...

قال عليه السلام: «أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه»^(١).
وقال عليه السلام: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يُعْطَه، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَه»^(٢).

يقول أبو هلال العسكري رحمه الله تعالى:

«وكان الحفظ يتعذر عليَّ حين ابتدأتُ أروئه، ثمَّ عَوَّدته نفسي إلى أن حفظت قصيدة رُؤبية: «وقاتم الأعماق خاوي المخترق» في ليلة، وهي قريب من مائتي بيت»^(٣).

وقد أخبرني بعض كبار السن أنه كان هناك رجلٌ في الحرم المكي قدم مُهاجِرًا وكان لسانه أعجميًا، يقول: فكان إذا قرأ القرآن رفع صوته ليعالج حركة لسانه في نُطق الأحرف العربية.. يقول: فكاننا نتأذى من نبرات صوته المتداخلة، وبعد مدة من الزمن أصبحنا نتشوق لسبب قراءته إذا قرأ.

الشاهد: أن الإنسان إذا جاهد نفسه ولم يستسلم سيرى من الله فتحًا وتيسيرًا.

(١) صحيح. صحيح الجامع الصغير (١٠٩٩).

(٢) حُسنه الألباني بحذوثة. صحيح الجامع الصغير (٢٣٢٨).

(٣) الحديث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري (ص ٧١).

ورُؤبية: هو ابن العجاج، من الشعراء الفصحاء المشهورين.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الثامن : تذكر وانظر في معارفك وفي أقرانك

سترى أنّ هناك من يصغرك سنًا قد حصل أكثر منك علمًا،
وسترى أنّ هناك من يفتقد ضروريات - وهي عندك كماليات -
قد حصل أكثر منك علمًا.. هذه المقارنة والمفارقة تزيدك إلى أن
تكون مثله أو أحسن منه، والمهم أنك إذا نظرت في أصحابك
سترى تمايزًا، وانظر إلى من يقلّ عنك مالًا وتيسيرًا في سعة الرزق
وفي سهولة الأسباب.. فإذا رأيت من أولئك من قد فاقك علمًا
فلزمًا أن تشحذ همّتك وأن تغبطهم ولا تحسدهم.

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر التاسع: ترتيب الأوقات

ترتيب الأوقات والسَّعي في المحافظة على لحظات وقتك من أعظم الأسباب في تحصيل العلم؛ فطالب العلم ينبغي أن يكون من أبخل الناس بالوقت أن يضيع سُدى، وأن يكون من أكرم الناس في بذل العلم ونفع الناس، فانظر في أوقاتك وكم يضيع من الأوقات بلا تحصيل! وبخاصة من ذلك الشاب الحريص على التحصيل.

يقول بعض السلف: «إذا مرَّ عليَّ يومٌ لم أزد فيه علمًا فلا بورك لي في ذلك اليوم».

ونقل عن عامر بن قيس أن رجلاً قال له: كَلِّمْنِي. فقال له: أمسك الشمس! ^(١).

ويقول الحافظ ابن الجوزي رحمه الله واصفًا حاله إذا ابتلي بزيارة من يشغل وقته بلا نفع:

«.. فأعددت أعمالاً تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم؛ لئلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلتُ من المستعد للقائهم قطع الكاغد وبري الأقلام، وحزمتُ الدفاتر.. فإنَّ هذه الأشياء لا بُدَّ منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم؛ لئلا يضيع شيءٌ من وقتي» ^(٢).

فأوقاتنا كثيرة والله الحمد، ولكن نحتاج إلى ترتيبها، وبعض الناس يتعذر بعدم البركة في الوقت، ويقال لهذا وأمثاله: البركة موجودة، لكن المعاصي والفوضوية تحجبها، ولو نظرنا في حال بعض مشايخنا رأينا - مع كثرة مشاغلهم - حسن الترتيب في أوقاتهم ذلك؛ لأنهم أعطوا كلَّ ذي حق حقه ومستحقه بتوفيق الله جل وعلا أولاً، ثمَّ بعنايتهم بأوقاتهم ثانيًا.

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص ٢٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) «صيد الخاطر» (ص ٢٢٨).

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر العاشر: تكرار ما حصلت من العلم سواء كان محفوظاً أو
مفهوماً أو مقروءاً

وذلك لأن تكرار الشيء يزيده رسوخاً في الذهن.

يقول بعض علماء علوم القرآن الكريم: «من حفظ بسرعة
نسي بسرعة، ومن ختم في خمس لم ينس».

يعني من كرر حفظه للقرآن الكريم في كل خمسة أيام مرةً
فالعالب أن حفظه يكون راسخاً مستقرّاً في ذهنه، فإذا
استفدت معلومة فإن تكرارها وتردادها والإخبار بها من
أسباب رسوخها وبقائها.

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ما جاء عن النبي ﷺ أنه
قال: «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن
لم يقم به نسيه»^(١).

وورد أن ابن عمر رضي الله عنهما مكث بضع سنين في حفظ سورة
البقرة^(٢).

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/٧٦)، «السلسلة الصحيحة» (٥٩٧).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في «مقدمة في أصول التفسير» عن الإمام
مالك رحمته الله.

كَيْفَ نَحْفَظُ؟ كَيْفَ نَقْرَأُ؟ كَيْفَ نَفْهَمُ؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الحادي عشر: نشر العلم

نشر ما سمعتَ وما قرأتَ وما فهمت بقصد التقرب إلى الله تعالى، ثمَّ بقصد تثبيت العلم ونفع الناس، ولذا تلاحظ أنك إذا سمعت الفائدة ثمَّ أخبرت بها زيدًا أو عمراً أو أهل بيتك ومن تحبّ.. فإنَّ في ذلك منافع كثيرة، منها:

- نشر العلم.

- اتّساع دائرة النفع.

- جريان الأجر عليك، بل وعلى كلّ من استفاد أو بلّغته

تلك الفائدة في حياتك وبعد مماتك، فإنه ينالك مثل أجرهم لا ينقص من أجورهم شيئاً.

كَيْفَ نَحْفَظُ؟ كَيْفَ نُقْرَأُ؟ كَيْفَ نَفْهَمُ؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الثاني عشر: كثرة شكر الله تعالى وكثرة حمده كلما ازددت علماً

قال أبو قلابة: «إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادةً،
ولا يكن همك أن تُحدث به الناس»^(١).

وفي ذلك اعترافٌ بفضل الله عليك، والافتقار إليه،
والحذر من العُجب، وكلما زادك الله **وَعَجَّلَ** علماً وفضلاً فأكثر من
شكر الله تعالى وحمده، فإن ذلك من أسباب الزيادة.. ﴿لَيْنِ
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

(١) «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي (ص ٣٤-٣٥).

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الثالث عشر: الحذر من التطع إلى التصدر والتروؤس

فذلك من أعظم الموبقات والمعوقات لطالب العلم؛
فلا تنظر متى تجلس على كرسيّ الصدارة، بل اطلب العلم
وطلب العلم - بعد فضل الله تعالى - يقودك إلى خير كثير،
ويدرأ عنك شرًا كثيرًا.

أمّا إذا كان قصد من يطلب العلم أن ينظر متى يترأس؟
ومتى يتصدّر؟ ومتى «يتشيخ»؟ فلا شك أن النية هنا
مدخولة.. فالحذر كل الحذر!

كَيْفَ نَحْفَظُ؟ كَيْفَ نَقْرَأُ؟ كَيْفَ نَفْهَمُ؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الرابع عشر: ردُّ الفضل إلى أهله

الفضل كله لله ﷻ.. ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

[آل عمران: ٧٣]، هذا لا إشكال فيه؛ لكن من علّمك علماً وأفادك
فائدةً ودلّك على أمر جهلته فرّد له فضله.

يقول أهل العلم: من أسباب بركة العلم أن ترّد الفضل
إلى أهله.

إذا أفادك إنسانٌ بفائدةٍ من العلوم فأدمن شكره أبداً

وقل فلانٌ جزاه الله صالحاً أفادنيها وألقِ الكبر والحسداً

وكثيراً ما يضعف بعضُ الناس عن ردِّ الفضل إلى أهله،

وبخاصة إذا كان المفيد من أقرانه، ولا شك أن هذا من تلبيس

إبليس، فرّد الفضل إلى أهله وأبشّر من الله تعالى بما يسرُّك.

كيف نحفظ؟ كيف نقرأ؟ كيف نفهم؟

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم
منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الخامس عشر: الاستفادة من مشايخ العلم وعدم التفريط في
دروسهم

وهذا من أعظم الأمور، بل هو من أصول التحصيل
العلمي، والاستفادة من مشايخ العلم ليست مقصورةً على
علمهم فحسب، بل يتعدى ذلك إلى النظر في شريف أخلاقهم
وجميل آدابهم مع الآخرين.

أمور مشتركة لا بد لطالب العلم منها في جميع طرق تحصيله للعلم

الأمر الأخير: كثرة تلاوة القرآن الكريم

وهذا الأمر يُهمله كثيرٌ من طلبة العلم، وحقيقة أنّ كثرة التلاوة - فضلاً عن كونها عبادةً وتزيد الإنسان محبة الله تعالى وخشية منه - فإنها ممّا يزيد في طلب العلم.

وأذكر لكم وصيةً بنصّها أوصى بها الإمام إبراهيم المقدسي تلميذه عباس بن عبد الدائم - عليها رحمة الله تعالى - فقال إبراهيم لعباس:

«أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه، فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ».

قال عباس: «فرايتُ ذلك وجربته كثيراً، فكنْتُ إذا قرأتُ كثيراً تيسر لي من سماع الحديث وكتابه الكثير، وإذا لم أقرأ لم يتيسر»^(١).

فحريٌّ بك يا طالب العلم أن تُعنى بهذا الأمر، وأن تجتهد ما استطعت في قراءة القرآن الكريم، ففي ذلك زيادة رغبة وقوة عزيمة في التحصيل والطلب، وستزداد حباً للتلاوة وتحصيلاً للأجر، ومع كثرة التلاوة ستلاحظ أنه يمرُّ بك آياتٌ تحتاج إلى فهم معانيها، وتمرُّ عليك كلماتٌ قد تكون غامضة عليك تحتاج إلى فكِّ إشكالها، وتمرُّ بك مسائل عقديّة وفقهيّة وأصولية ولغوية وسلوكية وتربوية، فيكون القرآن قد فتح لك أبواب الخير كلّها، والاستكثار من ذلك والاستغلال عائدٌ إلى عزيمة طالب العلم.